مازن توفيق.. شاعر تجاوز حدود الزمان والمكان

«الأمنا» كتب/ شوقي عوض:

حين يعيد الشاعر صياغة نفسه وتتمرد الكتابة الشعرية عن الشاعر ماذا يصير؟ ذلك ما سنعرج إليه ونخوض في معمان دهاليزه مع الشاعر مازن توفيق والذي يعد من أهم الأصوات الشعرية للشعر في حاضرنا المستقبل الأكثر عزيمة وجدية وإخلاصا للشعر في شاعرية القصيدة النثرية المعاصرة شاعر استثنائي وغير متكرر في امتلاك الرؤيا والاقتناص الحركي الحياتي غير المرئي، وهو شاعر من جيل الثمانينات.

ولكم أن تتخيلوا فقط لحظة هذه العوالم الشعرية من اللوحات الفنية والجمالية في قصائد كثر لدى الشاعر مازن توفيق والتي تعتمد على التخاطب الحسي وفوضى الدلالات للارتقاء بالنص والخروج به الى فضاءات لا متناهية، تعتمد على تجسيد الفعل الحركي وتحويله إلى أمكنة وشخوص وكلمات وإشارات تفضي إلى المكان والزمان المحددين في شعرية الشاعر مازن توفيق وقصائده النثرية ذات التباين في نتاج تجربته الشعرية المتباينة في علاقتها مع الأشياء والذاكرة المزهوة بالدال على المدلول، والتي تستدرك استعادتها إحساسا بالزمان والمكان المليء بالذات المكان والإنسان وفقا لتجليات النص وثيمات مدلوله الحداثي النثري.

في هذا المقطع من التداعيات يستدعي الشاعر مازن توفيق الذاكرة الشعرية التي لا تشيخ ولا تركن إلى الهدوء ولا السكون المريح بالشعر، أي بمعنى آخر يدعونا إلى كيفية التأمل لقراءة مثل هذه القصائد النثرية المعاصرة بوعي شعري ناضج ونفهمها، في إشارة ذكية منه بتذكيرنا إلى أزلية الصراع الوجودي والذي ما زال قائما بين كتابة القصيدة المنثورة وقصيدة النثر منها الحديثة والمدورة والأكثر جدية والقصيدة ذات الوزن الشعري العمودي... إلخ؛ لنتمكن من فهم هذا المكون الفني المتغير في هذا السياق الشعري والإبداعي، ففي قصائده نجد الصوت الشعري والذي يعتمد على الضمير، حيث تتموضع الذات بأقصى درجاتها في المكان وتأخذ أبعادها وانشغالها في هذا التعليق وتتضح رؤى الشاعر مازن توفيق في بلاغة الضمير بالاستمساك لما تبديه هذه الذات من ألم وإحساس بالفجيعة كما فعل في قصائده والموسومة في (بهاء

الخرائب)، و(حالات)، و(إيقاع صامت لوطن مستباح)، و(قصائد)، حيث نجده يتشظى من خلال هذه الآلام ويتلذذ في شاعرية الارتباط في تداع حر ومتقن بالجمال الفني والشعري الإبداعي. أو على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني في أسلوب يجمع (الجمع بين رقاب المتنافرات) وهذا القول فيه ما يؤكد على شاعرية الشاعر مازن توفيق وأساليبه المبتكرة وذائقته الجمالية والفنية في نصوصه الإبداعية، والمواكبة على الحداثة الشعرية العالمية والإبدالات النصية الجديدة البعيدة عن التذاكي والمجانية والثرثرة الذهنية والجزالة الفارغة والمرتبطة بالحميمية بين المرسل والمتلقي والتي تذكرنا بالمؤسسين الأوائل من رواد قصيدة النثر أمثال أمين الريحاني عام 1905م وخليل مطران وتجربة مجلة شعر اللبنانية عام 57م، والشعراء انسني الحاج ويوسف الخال وعباس بيضون وعلي أحمد سعيد (أدونيس) وإبراهيم العريض بالبحرين وحسين بن عبيد اللاه السقاف بحضرموت ومحمد الماغوط في سوريا... إلخ.

كما أن شعره عميق صاخب ولغته هادئة تخرج الفائض من شهوة الحكمة لوطن مستباح في لحظة ماجنة.

وقياسا على ذلك فإن الدال والمدلول لدى الشاعر مازن توفيق يتمثل شعرا بالانبهار والاندهاش والانغمار الخاطف بالصورة الشعرية بداخل اللغة الشاعرة بالمعطيات والاحتقان الداخلي في أسئلة الشعر والحياة.

هكذا إذن ترتبط علاقة الأشياء بالشاعر مازن توفيق والشعر وتتشي في اتساع الرؤية الشعرية والانفتاح على العالم بلغة الأحداث والحياة اليومية الضاربة بجذورها بالعمق في الحياة والإنسان من المدلولات الفارهة.

والتي ربما تغيب عن بعض المثقفين حقيقة هذه الأشياء من المدلولات ذات الدلالة والتي نقصد بها المؤازرة ما بين الدال على المدلول والإفصاح من المقصود الدلالي بلغة مقتصدة مؤتثه باذخة التفخيخ تحمل في جوانحها مفصلية القول ضمن ممتلكات اللغة الشهية.

أخيرًا بقي أن نشير إلى أن الشاعر مازن توفيق شاعر يمتاز بنقاء السريرة وطهارة النفس والفطنة والذكاء والإرادة ليس ذلك فحسب بل والمزاج المترامي الأطراف على ضفتي نهر خيلاء الشعر ووجع الذاكرة الأسير في قبضة الإبداع الشعري والجمال والحب والفن والفضاء الكوني الواسع في الإبداع.. كما أن الشاعر مازن له طريقته الخاصة من حيث الإطار البنائي العام للقصيدة وطريقة بنائه في كتابتها وتجربته الشعرية وكذا صوره الموسيقية والجمالية والفنية... إلخ والتي تعتمد على موسيقى الفكر والمترادفات والتقابل والتنظيم التصاعدي للأفكار.. إذ يتمثل شعره بالحداثة بشكل عام وقصيدة النثر بشكل خاص.

في بيان نعي لاتحاد أدباء الجنوب:

خسرت الأمة برحيل العالم والمفكر العربي د. أبوبكر السقاف مشعلا تنويريا

العاصمة الجنوبية عدن «الأمناء» خاص:

أصدرت الأمانة العامة لاتحاد أدباء وكتاب الجنوب الثلاثاء بيان نعي في وفاة العالم والمفكر العربي الكبير الدكتور أبوبكر عبدالرحمن السقاف الذي وافاه الأجل مساء يوم الثلاثاء في مدينة موسكو عاصمة جمهورية روسيا الاتحادية، عن عمر يناهز الـ(٨٨) عاماً.

وجاء في نص بيان التعزية: "ببالغ الأسى والحزن، تنعي الأمانة العامة لاتحاد أدباء وكتاب الجنوب، إلى الأمة العربية والإسلامية، وفاة العالم والمفكر العربي الكبير د. أبوبكر عبدالرحمن السقاف الذي وافاه الأجل يوم الثلاثاء ٢٠٢٢/١٢/١٣ في منفاه بمدينة موسكو عاصمة جمهورية روسيا الاتحادية، عن عمر يناهز الـ(٨٨) عاماً".

وأضاف: «لقد خسرت الأمة، بوفاة د. أبوبكر السقاف، مشعلاً تنويرياً أضاء واشتعل فكراً وإنساناً وثائراً ضد استبداد القوى الظلامية المتطرفة، وقد تعرض للتنكيل والسجن والتعذيب بسبب مواقفه الفكرية ونشاطه السياسي والاجتماعي والأكاديمي وبسبب بحثه الدؤوب في القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية وأطروحاته الجريئة التي اتسمت بالمقاومة المستديمة للفكر السياسي والديني المتطرف".

وأكمل: «والدكتور أبوبكر السقاف من أبناء محافظة لحج منطقة الوهط، وكانت ولادته في منتصف ثلاثينيات القرن الماضي، وقد كان شغوفاً بالتعلم والقراءة والاطلاع منذ نعومة أظافره؛ ونظراً لنبوغه الفكري المبكر، تم بعثه إلى جمهورية مصر العربية للدراسة وكان مهتماً بمطالعة كتب الفكر والفلسفة وعلم الاجتماع، وتخصص د. أبوبكر السقاف في الفلسفة وقد تحصل على درجة الماجستير والدكتوراه في الفلسفة في أشهر الجامعات الروسية، ثم عاد للوطن وتم تعيينه أستاذاً في جامعة صنعاء ويعد من مؤسسي قسم الفلسفة في كلية الآداب، إلا أنه تعرض للتنكيل من قبل السلطة حينها بسبب أفكاره

صلباً اتخذ من خبراته العلمية والمعرفية أداةً وسلاحاً لمواجهة الطيش السياسي ومقاومة الفكر الظلامي المستبد بالأمة، وقد تعرض للتنكيل بسبب مواقفه النضالية والفكرية والأكاديمية، ولم ينهزم يوماً أمام تلك القوى الظلامية المتطرفة، وقد وضع أثره وفكره في الأجيال وتحولت إلى سلاح مقاوم يتسلح به الجيل والفكر المعاصر حتى يومنا هذا".

وقال بيان النعي: «وبعد إعلان الوحدة بين الجنوب والشمال وكاتب أطلق على وضع الجنوب بعد حرب ١٩٩٤م بالاحتلال من قبل الشمال وأنه وضع غير شرعي وناسف لما عرف باتفاق ومعاهدة الوحدة اليمنية بين الشطرين؛ وكان السقاف أول من دعا وصرخ وقاوم بالكلمة ضد نظام صنعاء وما اقترفه في حق الجنوب من عبث وتدمير بعد حرب صيف ١٩٩٤م، وبوقت مبكر، تحديداً، في مطلع ١٩٩٥م انبرى الدكتور السقاف إلى الكتابة في صحيفة الأيام بشكل أسبوعي حول حرب الشمال على الجنوب وتعطيل صيغة الوحدة السلمية بالحرب، وما حدث ويحدث من تدمير مريع للبنية التحتية للجنوب وتحويله من شريك سياسي إلى ملحق وفرع. وقد كان لكتاباته تلك سبقاً نضالياً في تثوير الشعب الجنوبي واندلاع الثورة الجنوبية السلمية المطالبة بفك الارتباط بين الشمال والجنوب واستعادة الدولة الجنوبية".

وأضاف: «ومن أشهر مؤلفات السقاف كتاب (كتابات ودراسات فكرية وأدبية) وكتاب (الجمهورية بين السلطنة والقبيلة) وكتاب (دفاعاً عن الحرية والإنسان). وقد تفردت أطروحاته فيها بالطرح الجريء والمقاوم والفكر الجدلي والفلسفي الذي يضع الحقيقة دون خوف، ويدعو إلى تحرير الإنسان والأمة ومقاومة الفكر الظلامي الرجعي".

وتابع: «والأمانة العامة لاتحاد أدباء وكتاب الجنوب، وهي تنعي للأمة العربية وفاة الدكتور السقاف، هذه الهامة الفكرية العربية، تتضرع بالدعاء له بأن يسكنه الله الجنة مع الصديقين ويجعل قبره روضةً من رياض الجنة وأن يلهمنا وذويه الصبر والسلوان.. إنا لله وإنا إليه راجعون".

- بعد انحراف مسار الوحدة بين الجنوب والشمال انبرى السقاف للدفاع عن الجنوب
- كان السقاف أول مفكر يُطلق على وضع الجنوب بعد حرب 94م بـ(المحتل من الشمال)

التقدمية المصادمة للفكر السياسي المتطرف والداعية إلى الحرية والعدالة الاجتماعية".

وتابع: «لم يكن د. أبوبكر السقاف أستاذاً أكاديمياً وحسب، بل كان مفكراً ومنتجاً للفكر والثقافة وعالماً وسياسياً مناهضاً للفكر السياسي والديني المتطرف ومناضلاً وانحراف مسارها والنكث بالاتفاق من نظام صنعاء وشنه الحرب على الجنوب في عام ١٩٩٤م التي انتهت بإزاحة الشريك الجنوبي وتحول صيغة الوحدة السلمية إلى صيغة الضم والإلحاق للجنوب بالقوة العسكرية، انبرى د. السقاف للدفاع عن الجنوب، وكان أول مفكر